حديقة المقتطف

على باب الهيكل

لجبران خليل جبران

ترجمة مقتطع منها بالانكليزية

الفتاة والوردة

لتوماس مور

ولز الكاتب الانكليزي المشهور

H. G. Wells

(أنظر مقالة عنه صفحة ٣٢٠)

على باب الهيكل (١)

لجبران خليل جبران

قد طهرت شفتيَّ بالنار المقدسة لأتكلم عن الحب ولما فتحت شفتي للكلام وجدتني أخرس

كنت أترنم بأغاني الحب قبل ان أعرفهُ ولما عرفتهُ تحولت الالفاظ في فمي الى ملمات ضئيل ، والانغام في صدري الى سكينة عميقة

وكنتم أيها الناس فيما مضى تسألوني عن غرائب الحب وعجائبه ، فكنت أحدثكم واقنعكم ، أما الآن ، وقد تمرني الحبُّ بوشاحهِ ، جئتُ بدوري أسألكم عن مسالكه ومزاياه فهل بينكم من يجيبني ؟ جئت أسألكم عما بي واستخبركم عن نفسي فهل بينكم من يستطيع ان يبين قلبي لقلبي ويوضح ذاتي لذاتي ؟

ألا فاخبروني ماهذه الشعلة التي تتقد في صدري وتلهم قواي وتذيب عواطفي وأمالي ؟

وما هذه الايدي الخفية الناعمة الخشنة التي تقبض على روحي في ساعات الوحدة والانفراد وتسكب في كبدي خمرة ممزوجة بمرارة اللذة وحلاوة الاوجاع ؟

وما هذه الاجنحة التي ترفرف حول مضجعي في سكينة الليل فأسهر مترقباً ما لا اعرفهُ ، مصغياً الى ما لا اسمعهُ ، صادقاً بما لا اراهُ ، مفكراً بما لا افهمهُ ، شاعراً بما لا أدركهُ ، متأوهاً لأني في التأوه غصات لحبٍّ لديَّ من رنة الضحك والابتهاج ، مستسلماً الى قوة غير منظورة تميتني وتحييني ثم تميتني وتحييني حتى يطلع الفجر ويملأ النور زوايا غرفتي فانام اذ ذاك وبين اجفاني الدامية ترتعش اشباح اليقظة وعلى فراشي الحجري تمايل خيالات الاحلام

***

وما هذا الذي تدعوه حبًّا ؟

اخبروني ما هذا السر الخفي الكامن خلف الدهور المختبىء وراء المرئيات الساكن في ضمير الوجود ؟

ما هذه الفكرة المطلقة التي تجيء سبباً لجميع النتائج وتأتي نتيجة لجميع الأسباب ؟

---

(١) لهذه نثر هذه القصيدة النثرية على ذكر الكتاب الذي ظهر حديثاً بعنوان Prose Poems of Kahlil Gibran محتوياً على ترجمة بعض قصائده النثرية العربية باللغة الانكليزية

ما هذه اليقظة التي تتناول الموت والحياة وتبتدع منهما حباً أغرب من الحياة وأعمق من الموت

اخبروني أيها الناس — اخبروني هل بينكم من لا يستيقظ من رقدة الحياة اذا ما لمس الحب روحه باطراف أصابعه ؟

هل فيكم من لا يمخر البحر ويقطع الصحاري ويجتاز الجبال والاودية ليلقى المرأة التي اختارتها روحه ؟

أي فتىً لا يتبع قلبه الى أقاصي الارض اذا كان له في اقاصي الارض حبيبة يستطيب نكهة انفاسها ويستلطف ملامس يديها ويستعذب رنة صوتها ؟

أي بشريٍّ لا يحرق نفسه بخوراً امام إلهٍ يسمع ابتهاله ويستجيب صلواته ؟

***

وقفت بالامس على باب الهيكل اسأل العابرين عن خفايا الحب ومزاياه

فر امامي كهل مهزول القامة كاسف الوجه وقال متأوهاً « الحبُّ ضعفٌ فطري ورثناه عن الانسان الاول »

ومرَّ فتىً قويُّ الجسم مفتول الساعدين وقال مترنماً : « الحبُّ عزمٌ يلازم كياننا ويصل حاضرنا بماضي الاجيال ومستقبلها »

ومرَّت امرأة كئيبة العينين وقالت متنهدة : « الحبُّ سمٌّ قتال تتنفسهُ الافاعي السود المتقلبة في كهوف الجحيم فيسيل منتشراً في الفضاء ثم يهبط مغلفاً بقطرات الندى فترتشفهُ الارواح الظامئة فتكر دقيقة ثم تصحو عاماً ثم تموت دهراً »

ومرَّت صبية موردة الوجنتين وقالت مبتسمة: « الحبُّ كوثرٌ تسكبهُ عرائس الفجر في الارواح القوية فيجعلها تتعالى متمجدة امام كواكب الليل وتسبّح مترنمة امام شمس النهار »

ومرَّ رجل ذو ملابس سود ولحية مسترسلة وقال عابساً : « الحبُّ جهالةٌ عمياء تبتدىء ببدء الشباب وتنتهي بنهايته »

ومرَّ رجل ذو وجه صبيح وملامح منفرجة وقال فرحاً : « الحب معرفة علوية تنير بصائرنا فنرى الاشياء كما يراها الآلهة »

ومرَّ اعمى يجسُّ الارض بعكازه وقال منتحباً : « الحب ضباب كثيف يكتنف النفس

من كل ناحية ويحجب عنها رسوم الوجود ويجعلها لا ترى سوى اشباح امياطا مرتعشة بين الضباب ولا تسمع غير صدى صراخها آتياً من خلايا الوادي »

ومر شابٌ يحمل قيثارة وقال مغنياً : الحبُّ شعاع سحريٌّ ينبثق من اعماق الذات الحساسة وينير جنباتها فترى العالم موكباً سائراً في مروج خضر والحياة حلماً جميلاً منتصباً بين اليقظة واليقظة »

ومرَّ هرمٌ منحني الظهر يجرُّ قدميه كأنهما خرقتان وقال مرتعشاً : «الحبُّ راحةُ الجسم في سكينة القبر وسلامة النفس في اعماق الابدية »

ومرَّ طفلٌ ابنُ خمس وهتف ضاحكاً : « الحبُّ أبي والحبُّ امي ولا يعرف الحبَّ سوى أبي وأمي »

***

وانقضى النهار والناس يمرون امام الهيكل وكل يصور نفسه متكلماً عن الحب ويبوح بأمانيه معلناً سرَّ الحياة

ولما جاء المساء وسكنت حركة العابرين سمعت صوتاً آتياً من داخل الهيكل يقول : « الحياة نصفان نصف متجلد ونصف ملتهب فالحبُّ هو النصفُ الملتهب »

فدخلت الهيكل اذ ذاك وسجدت راكعاً مبتهلاً مصلياً هاتفاً « اجعلني يا رب طعاماً للهيب — اجعلني ايها الالٰه مأكلاً للنار المقدسة . آمين »

ترجمة المقطع الاول

I purified my lips with the sacred fire to speak of love,

But when I opened my lips I found myself speechless.

Before I knew love, I was wont to chant the songs of love,

But when I learnt to know, the words in my mouth became naught save breath,

And the tunes within my breast fell into deep silence.

In the past when you would question me concerning the secrets and the mysteries of love,

I would speak and answer with assurance.

But now that love has adorned me with vestments,

I come in my turn, to question you of all the ways of love, and all its wonders.

Who among you can answer me ?

الفتاة والوردة

لتوماس مور

ايتها الزهرة الشاحبة الذابلة

اي فن يستطيع ان يعيد اليك ما فقدته من لون وزهو وحياة !

اي فن يستطيع ذلك وقد فُصلت عن الغصن الذي غذّى نفسك الطاهرة !

عبثاً تسكب الشمس اشعتها لتدفع الحرارة في خدك البارد والقوة في عنقك الملتوي

فقطرات الندى التي كانت تتقطر عليك نضرة واريجاً

غدت الآن دموعاً تسبّلها السماء لوعةً على موتك الباكر

***

كذلك تذوي الفتاة التي عبث بها مناط املها وموضع ثقتها

يدفعها من ذراعيه فتهيم في فيافي الحياة ورياضها منبوذة مهجورة .

عبثاً يبسم لها الاهل والاصدقاء ، وعبثاً يجربون ان يخففوا من لوعتها القاسية .

اي عطف يعيد الى قلبها الكسير سلامه الداخلي !

اي بسمة ترجع الى نفسها المسحوقة اجنحتها الخفاقة !

والبسمة الوحيدة التي تستطيع ان تبعثها من غيبوبة الموت وترفعها قليلاً لرؤية

نور الحياة — اجل هذه البسمة السموية ، تنشي بها الآن أخريات